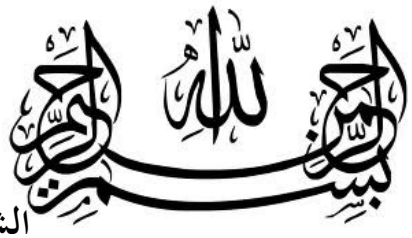

الأحد 2/2/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

آداب الضيف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

قلب المؤمن معلق بحضرة الله تعالى وهو موقن أن لا فارج من هَمٍّ ولا رافعَ لكرب ولا مجليَ لأزمة إلا الله، غير أن المؤمن متأدب بآداب الله تعالى. حيث أن الله جعل لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها، فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

بدأنا في باب الضيافة وهو باب من أبواب الفرج ذلك لأن الأزمة والشدة ألجأت أقواماً أن ينزلوا ضيوفاً على أقوام آخرين.

والضيافة في أصلها واجبة لمنقطع عن أهل ومال وولد.

(ذهب **الحنفية والمالكية والشافعية وفي رواية عن أحمد**: إلى أن الضيافة سنة، ومدتها ثلاثة أيام،.

والرواية الأخرى عن أحمد –وهي المذهب–: أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام. وبهذا يقول الليث بن سعد.

ويرى المالكية: وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك) [انظر الموسوعة الفقهية الكويتية].

وقد بدأنا في الدرس الماضي عن واجبات الضيف والمضيف واليوم في **آداب الضيف**.

الآداب: هي ذوقيات وأخلاق وكمال ورفعة للمرء ضيفاً كان أو مضيفاً، وقد سبق معنا أن كل من نزل على قريب منه أو بعيد فهناك واجبات يجب عليه شرعاً أن يلتزمها وإن لم يلتزمها أُخرج، وعلى المضيف واجبات إن لم يلتزمها خرجنا من عنده.

المؤمن له حدود ينضبط بها حدَّها له رب العالمين في القرآن الكريم وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول أحمد شوقي:

وإنما الأممُ الأخلاقُ مـــــا بَقِيَتْ	فـــإن هُمُ ذهبتْ أخلاقُهم ذهبـــوا
وإذا أصـــيب القـــوم في أخلاقهم	فـــــأقم عليهم مأتماً وعـــــويلا
صـــلاح أمـــرِك للأخلاق مرجِعُـــهُ	فقـــوِّمِ النفس بالأخلاق تســـتقِم

فبقدر ما تتحلى به من أخلاق فاضلة بمقدار ما ترتفع منزلتك في الدنيا والآخرة، وبقدر ما تتخلى عن الفضائل وتتمسك بالرذائل بمقدار ما تهبط منزلتك.

وإن الأدب ليرفع المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك، وإن قلة الأدب لتهبط بالرجل العَلِي إلى المكان الدني.

عَنْ أَبِيْ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَحْسِنُوا لِبَاسَكُمْ وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**» [الحاكم].

من آداب الضيف:

1- النظر في إمكانية استقبال المضيف له:

على الضيف أن ينظر في استطاعة مضيفه له من الناحية المالية والمكانية، ومن ناحية عدد الأيام التي يستطيع أن يستضيفه فيها ويستقبله.

من اضطر للضيافة عند أخ مسكنه ضيق فلا يُعاتَبُ عن ليلته الأولى لكن يطلب منه من صباحه أن يخرج ليبحث بكل جهده ليتمكن من الخروج وإزالة الحرج عن مضيفه فلعل صاحب الدار يستحيي أن يخبرك بالخروج.

أحياناً تجد رجلاً طاعناً في السن لا يصبر على أولاد الضيف الصغار وهم يصخبون من حوله.

2- حفظ خصوصيات البيت الذي يُنزل به:

فلا يفتح الضيف مُغلقاً، ولا يسأل عن أمر لم يُرِدْ صاحب الدار أن يطلعه عليه.

أنزلتْ عائلةٌ عائلةً في بيتها المفروش وفتحت لها كل شيء في البيت حتى المواد التموينية غير أنهم قالوا لهم: يرجى عدم فتح الخزانة واستخدام ما فيها، وإذا بصاحب المنزل يرى الملابس التي في الخزانة على الضيف وأولاده!!

3- المساعدة بالنفقة والخدمة:

قد تنزل عائلة فيها رجال وشباب ونساء فترى صاحب الدار ينزل إلى العمل والضيوف جالسين في البيت بدون أي حراك.

إذا لم يكن لديك عمل فأنفقْ على البيت من مالك الذي معك.

فإذا لم يكن هناك نفقة وعمل فاطلب من صاحب البيت أن تكون المسؤول عن إحضار حاجيات البيت.

والنساء عليهن أن يتوازعن العمل فيما بينهن.

هذه الأمور تجعل المضيف يحب بقاءك في البيت ولا يتمنى مغادرتك أو يسعى في إخراجك.

قال مجاهد: (**صحبت ابن عمر لأخدمه، فكان يخدمني**) [تاريخ دمشق لابن عساكر].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَفَرٍ فَكَانَ يَخْدُمُنِي فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ: (إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، آلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ) وَكَانَ جَرِيرٌ أَكْبَرَ مِنْ أَنَسٍ** [البخاري ومسلم].

أنزلت عائلةٌ عائلةً في بيت ثان لها من غير مقابل فجعل الضيف ينظر في البيت وما يحتاجه فأصلح لهم تمديدات الكهرباء والماء فلما خرج من البيت كان البيت أفضل مما دخل إليه.

4- ترك فسحة لصاحب البيت والتخفيف عنه لأداء حق زوجته وأولاده:

على الضيف أن يخرج من البيت مع زوجه وأولاده إلى حديقة عامة أو إلى المسجد أو إلى المكتبة... ولا يبق به دائماً حتى يهدأ ويسكن روع صاحب البيت وأهله.

أطالَ ثقيلٌ الترداد إلى بيت ظريف، حتى أبرمه وأسأمه الحياة، وبينما كانا معاً في بعض الأيام، قال الثقيل: من تراه أفحل الشعراء؟ فأجابه: ابن الوردي إذ يقول:

زُر غِبَّاً تزد حُبُّاً فمن أكثر التِّرداد أضناه الملل

فقال الثقيل: فإن السنجاري أفحل منه بقوله:

إذا حققت من خِل وداداً فزُرهُ ولا تخفْ منه مِلالا
وكن كالشمسِ تطلعُ كل يوم ولا تكُ في زيارتِه هلالا

فقال الظريف: فإن الحريري أفحل من كليهما، وهو القائل:

لا تزُرْ من تحب في كل شهر غيرَ يومٍ ولا تزده عليه
فاجتلاءُ الهلالِ في كل يوم ثم لا تنظر العيونُ إليه

واستتلى قائلاً : إن لم تصدّقني فقد وهبتُك الدار بما فيها، وخرج وهو ينشد:

إذا حلّ الثقيلُ بأرضِ قومٍ فما للساكنين سوى الرحيلِ

فخجل الثقيل، وذهب، ولم يعد.

5- مراعاة آداب الجوار:

فقد يُخرج الضيف أولاده للبناء فيلعبون ويصخبون حتى يتضايق الجوار من مالك البيت.

6- الذوق واللباقة بمتابعة النظافة الشخصية وخاصة عند الأولاد وتجنب مايؤذي صاحب البيت: مثل التدخين

7- شكر المضيف وعدم نكران الجميل:

ترى بعضهم يتكلمون على من أضافهم بسوء.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي، قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي: وَأَخَذَ**

بِلِجَـامِ دَابَّتِـهِ، ادْعُ اللهَ لَنَـا، فَقَـالَ: «اللهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مَـا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِـرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ» [مسلم].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.